دور المؤشرات اللفظية المفصلية في الخطاب الشعري

نصوص خفافيش الليل البارد

الشاعر كمال مغيش– نموذجا–

د. صالح غيلوس

جامعة محمّد بوضياف المسيلة

تاريخ الإرسال:2017/10/03	تاريخ القبول: 2018/08/06	تاريخ النشر:2018/09/15

الملخص:

تقوم لغة الخطاب على جملة من المقاصد والغايات التداولية، قصد التأثير على المتلقي ليتبنى رأيا من الخطاب المرسل إليه، والذي عادة يحمل مدلولات عديدة(نصية، خطابية، مقصدية، جمالية...). ويحفل أيضا بجملة من المؤشرات اللفظية المفصلية (السياقية)، وبعض القيم الاجتماعية والأيديولوجية، بغية أن تكون التغذية الراجعة مناسبة وموافقة لكمية الأفكار المرسلة، وتحقيق الكفاءة التواصلية. ومن هنا يطرح السؤال نفسه . هل للمؤشرات اللفظية المفصلية دور في تحليل الظواهر اللغوية في الخطاب الشعري، نصوص، خفافيش الليل البارد– للشاعر كمال مغيش.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات التداولية، المقاصد، السياق، المرسل إليه، اللسانيات.

Résumé:

La langue de discours se base sur le total des buts et des objectifs de linguistique pragmatique pour influencer le destinataire pour adopter un avis du discours du destinataire , qui porte d' habitude beaucoup d'annotations , textuels. rhétoriques, ce discours abonde aussi de certains intentionnels et esthétique D'indicateurs charnières contextuel et certaines valeurs sociale
et idéologiques. Pour que le feedback soit approprié et adéquat avec la quantité des idées transmises .afin d'atteindre des compétences communicationnelles Et est

ici due la question se pose : est que les indicateurs chainières verbaux ont un rôle dans l'analyse des phénomènes dans linguistique dans le discours poétique , des textes les chauves – souris de la nuit froide – Kamal Meghiche.

Mots-clés : Linguistique, D'indicateurs , contextuel, , des objectifs, linguistique pragmatique

عدَّها الأزهر الزناد (المؤشرات المفصلية اللفظية (السياقية). من قبيل المعوضات، وهي تأتي تعويضا عن وحدات معجمية(أسماء مفردة وما يضارعها من المركبات). وهو يقصد المشار إليه أو المحيل إليه.[1]تدخل أيضا في تشكيل الخطاب فلا يمكن استبعادها عنه ولا يمكن الاكتفاء دونها، وهي لا تتجاوز محور الذات، والزمان والمكان والقيم، والوصف والأعلام الشخصية، فشرط " وجودها قائم على النص، وأنها تقوم على مبدأ التماثل بين المقام السابق أو اللاحق بوساطة الإحالة، التي لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل والتفسير"،[2] بل هي بحاجة إلى العودة إلى ما تشير إليه بغية فهمها وتأويلها.[3] وأن هذه الأشكال الإحالية ترتبط مباشرة بقصد المتكلم وسياق الخطاب، غير أننا نميزها عن التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم و التعبيرات الإشارية البعيدة عنه.

بيد أن المؤشرات اللفظية المفصلية خالية من أي معنى في ذاتها، لذلك سميت بالمبهمات وهي من حيث المشار إليه قسمت إلى قسمين : القسم الأول " يقوم على معرفة المشار إليه من حيث كونه مفرداً، أو مثنى أو جمعاً بمراعاة التذكير والتأنيث، والعقل وعدمه، أمَّا القسم الثاني فيقوم على معرفة المشار إليه من حيث كونه قريباً أو متوسطاً أو بعيداً ". [4]

الإشاريات السياقية: تشكل الإشاريات السياقية النسق التواصلي لعملية التلفظ القائمة بين الطرفين(المرسل/ المتلقي). وتدل بنوعيها على حضور المتكلم والمخاطب جنبا إلى جنب في الخطاب الشعري، ويقسمها علماء اللغة إلى خمسة أنواع وهي: (شخصية، زمانية ،مكانية، اجتماعية، خطابية). غير أننا نجد من يقسمها إلى: (عنصر إشاري معجمي، وعنصر إشاري خطابي).

1– الاشاريات الشخصية: الدالة على الشخص المتكلم أو المخاطب أو الغائب، و المقصودة بقول بن مالك:

وما لذي غيبة أو حضور *** كأنت وهو سمّ بالضمير.[5]

تجمع كل العناصر التي تحيل مباشرة إلى المقام، من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمان أو المكان، حيث ينجز الملفوظ الذي يرتبط بمعناه من:(أنا، وأنت، والآن، وهنا، وهناك، وهذا وهؤلاء...). وهذه العناصر كلها تلتقي في مفهوم التعيين أو التوجيه، التي موضوعها الإشارة إليه.[6] والسياق اللغوي و الموقف الاجتماعي هو من يحددها. بالإضافة إلى الضمائر نجد أسماء العلم، وأسماء الموصول، وأسماء الإشارة، وأسماء المكان والزمان...، التي تعبر عن علاقة المتكلم بالمخاطب اجتماعيا، " وتأويلها الدلالي لا يكون إلا باستحضارها في الخطاب. الذي يحدد" إحالتها على مرجعيتها الحقيقية في العرف اللغوي والواقع الخارجي".[7]وهي محركات مفصلية في معمارية الخطاب عند جاكبسون(Jacobson). وأشكال فارغة من دون مضمون عند بنفيست(Binifist). ما لم تدخل في السياق، وقد تجد لنفسها محتوى انطلاقا من تلفظ الشخص بها في مقام محدد.

بيد أن دور السياق لا يتوقف عند الاشاريات الظاهرة، بل يتعداه إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى والمستقرة في بنية الخطاب الشعري العميقة،

ليعطيها الدور التداولي في استراتيجيته، وأحيانا قد تجتمع معا في خطاب واحد، أو تظهر في " الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم الإشارية البعيدة عنه".[8]

1-1- ضمائر الحضور: عناصر إشارية تعتمد كلية على السياق الذي تستخدم فيه[9] ؛ و يعني حضور الشخص أو الأشخاص أو حضور إشارة، أو تنوب مكونات إشارية أو موصولية عنه ، من مثل:(هذا، هذه، هذان، هتان...). و (الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين...). وتمتاز بالإبهام، غير أنه يزول بوجود صلتها في الخطاب.[10]

– ضمير المتكلم : يمتلك مفاتيح التحكم في مغاليق النفس، فيلج متى يشاء العوالم النفسية، حتى يكشف ما خفي فيها، حتى يجعل رؤيته لنفسه تختلف عن رؤيته للآخر، ولا ينحصر حضور ضمير المتكلم في "الأنا " فقط، بل ربما يكون حضور تكلم ك: (أنا ونحن). أو حضور خطاب ك: (أنت) وفروعها أو حضور إشارة كهذا وفروعها، وهذا الحضور يتداخل مع الوظيفة الإيحائية التي تشير لمحتوى الخطاب الشعري كقطب يمثّل نواة دلالية، ويمكننا أن نتمّثل تكوينه وإنتاجه للمعنى. كما جاء في نص تأوهات في سراديب الوقت .

وخذي مني بقايا الأثر
أنا إذا تجاوزت الحنين بجنبك
كانت أساطين الوجد بقربك
غنوة لملح الحديث
يا أنت
يا التي ارتسمت في دمي

***

أنِيّ المعنِّي بطيفك11

في هذا النص ، تلجأ الأنا/ العاشقة إلى الالتفاف والمواربة من خلال الإفصاح عن رغبتها في استقطاب النشوة العاطفية، وتهدئة الفضاء التوتري لمزاج الشاعر لتحقيق البوح الداخلي، وإفشاء الكتمان.

فالشاعر يمارس النكوص إلى الخلف بغية إخفاء النقص العاطفي، وتسلية نفسه بملأ الفراغ الداخلي، حين يطالب الأنت بمزيد من الاقتراب بهدف التوحد والانصهار في ذات واحدة، غير أن التجربة الفنية للشاعر، تسعى من خلال اللغة إلى عقلنة التجربة للنفسية لـ: (الأنا/ الآخر)، ومنه يمكن القول أن فاعلية الأنا العاشقة تجلت في القدرة على تمثيل (النموذج العذابي).

– **ضمائر المخاطب:** من الألفاظ المتداولة عموما في الجمل العربية، ويستدل بها على أشخاص محددين ومعروفين مسبقاً لتلقي الخطاب، فهي تعوض الأسماء، وسميت بضمائر المخاطب لدلالتها على الإنسان المخاطب والمقصود من الخطاب، ومن أبرزها:(أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتنَّ، إياكَ، إياكِ، إياكما، إياكم، إياكنَّ، ياء المخاطبة). وهي حاضرة في قصيدة محطات سكرات الليل:

قالت أنت الصبابة كُنتها...

وكنت الحلم والناي...

***

ها أنت ما تزال تفتش عنها في هيم اللحظات

إنك آت من عسس الليالي...

من سؤر الليالي

***

تأرجح كما تشاء بين فينات البهاء
أنت أخيلة جميلة من رضاب النسمات العابرة
فتش عن سطور العسجد، أنى تشاء.[12]

ابتدأ الشاعر القصيدة بهاء التنبيه بقوله: (ها أنت). وللتنبيه مجموعة من الدلالات التي تفي بغرض الشاعر، الذي لا يبحث عن حدوث متغيّر مباشر، بل لتبليغ رسالته، حيث سار الخطاب الشعري على وتيرة واحدة تتولى ما بين منادى ضمير(أنت)و (إنَّك)، بين ومسار أخر للأفعال (ناقصة، تامة)،ك: (ما تزال، كنت، كان، تبعثرت، كانت، سأعبث، سأرتوي، مرت، مر، تأرجح، فتش، ...) ، فقد مزج في نصه الأزمنة الثلاث:(ماض، حاضر، ومستقبل)، غير أن طغيان المؤشر بالضمير الضمير: (أنت). ورد من باب إسناد المجهول للآخر بحضور الذات(أنا). وله وظيفة هامة. وهي الربط بين أجزاء البنية والعمل على انسجامها تحقيقا لنسق معيّن اقتضته طبيعة الخطاب الشعري، هذا ما نجده في نص تراتيل المطر.

حبيبتي
كوني تفاح صيف يوجس الأخيلة
كوني عنبا، أو قضبا، وزيتونا
وريحا تبلسم الضاحية
كونيّ أنا
يا أنت ، ياقبلة المفعم بالحنو
يا روح نسماته في ربيع البهاء.
ياعاتكة.

وقد استطاع الشاعر صنع علاقة نحوية سياقية بين معاني الخطاب الشعري، إذ شكل ضمير المخاطب(يا). الحلقة الواسطة بين الارتباط والانفصال داخل البنية، وبهذا يضمن وجود نفع بما يسمى (مبدأ التخلق). الذي يدعو المتكلم إلى الخروج عن الأغراض وعن الأعواض.[13] فقد لزم أن يكون الباعث عليه تحقيق التأثير في ياء المخاطبة، " في "كوني" فالذي يملكه وهو أقرب شيء إليه (حبيبته)، التي صرح الشاعر بحبه لها في أول كلمة من النص، وفي غيرها في النصوص الشعرية، تتكرر جملة المنادى ثلاث مرات – بأداته (يا أنت– يا أنت– يا عاتكة). وهي حاضرة فيها تقديرا (أنادي حبيبتي). المحمولة على الفعلية حيث المنادى مفعول به وعامله محذوف تقديره (يا حبيبتي).[14] وقد تواترت ضمائر المخاطب في نصوص خفافيش الليل البارد، وهذه بعض النماذج في الجدول أدناه.

الخطاب الشعري	المشار إليه	نوع الضمائر	تواترها
أمي ملامح عابرة	الأم	الضمائر المنفصلة	05
		الضمائر المتصلة	08
		الضمائر المستترة	36
تأوهات في سراديب	الأخر	الضمائر المنفصلة	04
		الضمائر المتصلة	14

الوقت		الضمائر المستترة	08
تراتيل المطر	الأخر	الضمائر المنفصلة	03
		الضمائر المتصلة	04
		الضمائر المستترة	12

2– الإشاريات الزمانية: هي الملفوظات التي تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التلفظ، وتظهر قيمتها التداولية في الخطاب الشعري نفسه، فإذا لم يعرف هذا الزمن التبس الأمر على المتلقي وتعسر عليه الفهم، والسبب في ذلك أن المرجع يختلف بحسب الحامل الدلالي، فقد يشير إلى الزمان المطلق أو إلى الزمان النحوي.[15]

ويعدُّ المحدد الزماني إطارا جوهريا لإدراك الزمن والإحاطة به، فالمتخاطبون يستعملون أنظمة موسعة من الإشارات الزمانية في حدود الاستعمال اليومي،[16] ولا تدرك تأويلاتها إلا بمعرفة زمن التخاطب، نظرا لاستغراق هذه الأبعاد كما وقتيا محددا ونهائيا، كما أنَّ للمرجعية دور كبير في توجيه هوية الخطاب الشعري. وتؤدي الظروف الزمانية وظيفة مهمة داخل السياق التخاطبي وتحدد زمن التخاطب ومكانه، وفي الغالب تأتي مبهمة غير أنَّ السياق كفيل بإزالة إبهامها وشمولية دائرتها الدلالية المرجعية، وذلك بحصرها داخل بعد زماني مدرك بإدراك زمن الخطاب الشعري.

–الظروف (مبهمة / غير مبهمة). هي أسماء الزمان والمكان يراد معنى فيه وليست في لفظه، كقولك: قمت اليوم وجلست مكانك، المكان ما استقر فيه)، وإنما الظرف منه ما كان مبهما غير مختص مما في الفعل دلالة عليه، والمبهم ما لم تكن له أقطار تحصره ولا نهايات تحيط به. ونجد بعضها في نص تمويهات.

ساعة الفجر انسلات من رؤى البعد الغارق في الصلوات
الصمت يجلد الريح. [17]

وردت أيضا في قصيدة محطات من سكرة الليل .

كان الليل هيما من الضحكات
قال بعد أن تبعثرت أشياؤه
***
ها أنت ما تزال تفتش عنها في هيم اللحظات.
***
مرّ ليل طويل
وبقيت واقفا كالسحابة الماطرة
***
المسافة بيني وبين العمر ضحى
لم يبق الكثير
لقد مرت أربع صلوات
كان الحزن كالمزن يشكل تلك المساءات.[18]

ورد في النص جملة العلامات اللغوية الخاصة بالعنصر الإشاري المتصل بالزمن (الليل، المساءات، ضحى، اللحظات، صلوات). وبما أن " الزمن في اللغة

تحدده القرائن، التي تتحدد بجوار الأفعال عند نهايتها، أو بواسطة ظروف الزمان".[19] فقد كان لهذه الظروف الزمانية دور بارز في توجيه الدلالة الزمانية مع الهيئة الشكلية للأفعال المستعملة في الخطاب الشعري. وهذه الأخيرة تواترت في بعض نصوص خفافيش الليل البارد كالآتي:

	الظروف المبهة	الظروف غير المبهة
التزامنية	الآن	إذن
القبلية	الأمس ، الماضي، قبل الآن.	في ذلك اليوم، بعد اليوم، قبل
البعدية	غدا سنرى،، فيما بعد، الأيام بيننا	العام الآتي، الشهر القادم
الحيادية	هذا الصباح	في الدهر.

استعمل الشاعر هذا النوع من الإشاريات الزمانية المبهمة، وغير المبهمة، ليؤكد أنَّ علاقته بمن يحب لا تنقطع، و هي ماثلة أمامه لم تغب عن عينيه، فالمسافة العاطفية بينهما قريبة، إذ يشكلان كيانا واحدا لا ينفصل، لذلك تشعر الأنا بـ: أمسها، ويومها، وغدها و بكل" ما مضى منه، وما سيأتي في المستقبل البعيد منه والقريب".[20]

3– الإشاريات المكانية: هي كلمات الإشارة، نحو: (هذا وذاك). للإشارة إلى القريب أو البعيد من مركز الإشارة المكانية، إضافة إلى ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب، من مثل: (ذلك، هنا، ذا، وفوق، وتحت، وأمام، وخلف).[21] وهي تفسر حسب الموقع والقصد والإشارة. [22] وتتوزع بحسب علماء اللغة إلى ثلاثة : (أسماء الإشارة، الظروف، أسماء الأماكن).

– **أسماء الإشارة:** وردت بشكل لافت في نص خفافيش الليل البارد.

فهنا على المقاعد التعيسة

سراب حمام يطير إلى رفيف الأسى

وهنا سرب يمام يحج إلى هناك بغير رجعة

***

هنا العجسد

هنا العسل البري ينحل من حمحمة الطيف

هناك يومئ الحب لاثنين في فراهة الربيع

–أسماء الأماكن: يدخل الدال الشعري (هنا / هناك). في عوالم بنية الأنا نحو مناطق شبه غائمة و غير مكتشفة، إذ نجد هذه الأفضية أحيانا تتداول عبر صيغ متجاوزة على حدود جمالية التوصيف، أو عبر أفضية التداول في شكل التحقق التداولي غير المباشر، وعن طريق المنطوق في شعرية العلاقات المكانية، أو بواسطة الأفعال الموظفة في بنية علامات البناء القصدي للخطاب الشعري، ففي نص فلسطين التاريخ الخالد، يقول:

هنا غزة التي تعبق بالندى

وهنا رام الله وعكا و المية مية.

هنا نابلس وحطين ويافا وحيفا

هنا حارة المغاربة تمكر ببني صهيون العتل

هناك الوجه الذي يمرغ بني يهودا في أوحال المزابل.

تشير أسماء الأماكن الواردة في النص. (غزة، ورام الله وعكا و المية مية، نابلس وحطين ويافا وحيفا، حارة المغاربة). إلى شدة التفاعل بين المكانية من(مدن وأحياء). وإلى بقاء واستمرارية المكان الأصيل وطغيانه على حركة الزمن، والذي تبرز فيه الرؤية الشعرية للمكان ومستوى استشعاره لقيمته التاريخية، حيث يتخذ المكان خلفية رمزية للهوية العربية والإسلامية، وهذه الصياغات إذا تمكن المتلقي من إدراك معانيها ودلالاتها، جعلته يرتبط أكثر بالمكان.

4– الاشاريات الاجتماعية: تطلق على الألفاظ والتراكيب التي تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية (التفاعلية). بين طرفي العملية التواصلية، من حيث هي علاقة(رسمية أو رسمية). ويفرض السياق الاجتماعي على المتكلم استعمال لغة معينة، أو طريقة معينة لكل تواصل.[23] من مثل ما جاء نص أمي ملامح عابرة.

أمي...

فرحة القلب الجسور وعماد البيت ، وشمعة النور

حين كنت في عمر الربيع أقاسم جدران البيت صداها

كنت أمي تجوعين وأشبع

***

أمي رشقت القلب حبات البوح

وجل أرغب دعاءك المغدق بالصدق والضياء

ولأني أحبك أمي

لا تبخلي وليدك بالدعاء . [24]

5– إشاريات الخطاب: هي تلك العناصر الخطابية الدالة على مدلولات مقالية و مقامية في الآن نفسه ولها صلة وثيقة لذات المخاطب، الذي يريد أن يجري تحويلا في خطابه، بإنهاء كلامه السابق بتعليق اختزالي دال على توجيه الاهتمام إلى أمر محدث، يتمثل في عبارة (مهما يكن)، أو الاستدراك على كلام سابق أو الإضراب عنه باستخدام العنصر الإشاري الخطابي (لكن، بل) .[25] وتتجسم إشارات الخطاب في نص الريح التي مرت.

كان الطفل حالما كالوئيد

كالطّيف مر

ولكن في قرارة الطفل مرت الريح

ويقول أيضا: واختفى كأرنبة في فيافي الهروب

وانتفى كالخرافة من رعاف الدم

بل هناك

عسعسة الليل تبوء بالدمار

***

المسافة بيني وبين العمر ضحى

لم يبق الكثير.[26]

وإذا أراد الاستزادة إلى ما سبق في الخطاب، فيقول : (فضلا عن ذلك). أو يلجأ المخاطب إلى المبني للمجهول في استعمالاته التداولية للاستدلال، فقد يتحير في ترجيح رأي على رأي، والاستدراك على قول آخر، أو عدم الرغبة في ذكر الفاعل التواصلي، كأن يستعين ببنية (من ثم). لإرادة الترتيب والتأشير إلى الإتيان بمعرفة خطابية جديدة.

ونافلة القول أن الخطاب بنية لغوية فنية منغلقة، بالنظر إلى الشكل التداولي للمؤشرات اللفظية المفصلية، ومنفتحة بحسب قدرات التأويل عند المتلقي، فإن استطاع أن يلم بدورها وأدرك قيمتها اللغوية والإبداعية والجمالية، تمكن من الولوج إلى عمق الخطاب، الذي هو عالم معقد تنغرس فيه نوازع الذات بأنواعها، فَهِم قصدية الشاعر من خطابه التواصلي.

الهوامش:

[1] – الأزهر الزناد: نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا) . المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص 116/115

[2] – أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1ص2001، ص117

[3] – مُحَمَّد خطابي : لسانيات(مدخل في انسجام النص). المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص17

[4] – الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان ،ص81.

[5] – ابن عقيل شرح ألفية بن مالك، تح، مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، ، دار التراث، القاهرة، 1980،ج1، ص88

[6] – براون، يول، تحليل الخطاب، ترجمة مُحَمَّد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 ، ص35

[7] – استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية، ص 28

[8] – نفسه، ص 81

9 – محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2002، ص18

10 – ينظر، الاستراباذي: شرح كافية ابن الحاجب، تح، إميل يعقوب، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، ط1، 2006، ج3، ص8

[11] – كمال مغيش: نصوص، خفافيش الليل البارد، دار الأوطان، الجزائر، 2015، ص52

[12] – نفسه، ص 44

[13] – ينظر، طه عبد الرحمان: اللسان والميزان ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998، ص 225/224

[14] – اللسان والميزان ، 1998، ص 225/224

[15] أرمينكو، فرانسوا، المقاربة التداولية، تر، سعيد بنكراد، مركز الإنماء القومي، المغرب، ص45 .

[16] – ينظر، نفسه،ص 42.

[17] – خفافيش الليل البارد، ص 17

[18] – خفافيش الليل ، ص45/41

19 – ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب دار الأمل، تيزي وزو، 2007، ص 106

[20] – عبد الرحمن بدوي: الزمان الوجودي، ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 15

[21] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص22.

[22] – جورج يول: معرفة اللغة، تر، محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2005، ص137

[23] – هادي نهر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب، جامعة المستنصرية، بغداد، ط1، 1988، ص191

[24] – خفافيش الليل البارد، ص 25/24

[25] – ينظر، جورج يول ، معرفة اللغة، ص158 / 160

[26] – خفافيش الليل البارد، ص45